

# كَيْفَ تُطِيلُ حَيَاتَكَ؟

لَفْضِيلَةُ الشَّيْخِ الدُّكُورِ  
عَبْدِ السَّلَامِ بْنِ مُحَمَّدٍ الشَّوَيْعَرِ

الْشَّيْخُ لَمْ يُرَاجِعِ التَّفْرِيفَ





# كَيْفَ تُطَيِّلُ عُمُرَكَ؟

☎ 00966558883286

📺 YouTube/alshuwayer9

🐦 📧 📌 📷 alshuwayer9

للإعلام بالأخطاء الطباعية والاستدراكات والاقتراحات؛ يرجى المراسلة على البريد التالي:

[tafreeghalshuwayer@gmail.com](mailto:tafreeghalshuwayer@gmail.com)

لَيْسَ إِلَهُنَا إِلَّا هُوَ وَلِلْقَاءِ آتِ الْعَلَمِينَ فَضِيلَةُ الشَّيْخِ

٧

# كَيْفَ تُطَيِّبُ كُفْرَكَ؟



لفَضِيلَةِ الشَّيْخِ الدُّكُورِ  
عَبْدِ السَّلَامِ بْنِ مُحَمَّدٍ الشَّوَيْعَرِ

النُّسخَةُ الْأُولَى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

ثُمَّ أَمَّا بَعْدُ:

-أيها الإخوة- الأكارم سلام الله عليكم ورحمته وبركاته. -أيها الإخوة- إن حديثنا اليوم حديثٌ عمّا يطيل العمر، ويمده وينسأ فيه ويزيده، إن هذه القضية أشغلت الناس جميعاً منذ بدء الخليقة إلى الآن، فما حدث من آدم **عَلَيْهِ السَّلَامُ** وموسى وغيرهم من أنبياء الله **عَزَّوَجَلَّ** إلّا دليلٌ على ذلك، فآدم **عَلَيْهِ السَّلَامُ** عندما أسكنه الله هو وزوجه الجنة واستخلفهم فيها إنّما أغواه الشيطان بدعوى أن يدله على الخلد وطول البقاء، قال: هل أدلك على الخلد وملكٍ لا يبلى؟، فظنّ الشيطان أنّه بهذا المدخل يدخل على آدم لعلمه أنّ المرء محبٌ لطول البقاء [...].

نبي الله فقال: كم عمره؟، ف قيل له إنّ عمره كذا وكذا، فتقال آدم **عَلَيْهِ السَّلَامُ** عمر داود **عَلَيْهِ السَّلَامُ** وعلى نبينا -أفضل الصلاة وأتم التسليم-، فوهب له آدم من عمره أربعين سنة، فلمّا جاء ملك الموت لآدم قال له آدم إنّّه قد بقي من عمري أربعين سنة، قال: فتلك التي وهبتها لداود، جاء أن آدم نسي فنسيت ذريته بعد ذلك إن صحّ الأثر عن المصطفى **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ**. بل إنّ موسى بن عمران نبي الله ورسوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** عندما حضره ملك الموت كأنّه رغب بعدم الوفاة، فأوحى الله **عَزَّوَجَلَّ** إليه يا موسى ضع يدك على جلد

ثور فلك بكل شعرة تقع يدك عليها سنة، قال: ثم ماذا بعد ذلك؟ قال: ثم بعد ذلك أتوفاك، قال: فالآن إذاً.

فالنفس بطبعها راغبة في البقاء، وطول الأمد، والمكث في الدنيا قدر المستطاع، وقد جاء في الحديث الصحيح، الثابت في صحيح البخاري أن النبي ﷺ قال: «**قَالَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ: وَمَا تَرَدَّدْتُ فِي شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ كَتَرْدُدِي فِي قَبْضِ نَفْسِ عَبْدِي الْمُؤْمِنِ يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَكْرَهُ إِسَاءَتَهُ**». فبين النبي ﷺ أن المؤمن يكره الموت، فرغبة البقاء في هذه الدنيا ومد العمر فيها ليس منقصة في المرء، وإنما هو جلة جعلها الله عز وجل في الآدميين جميعاً، وما آدم وموسى وداود ومحمد وغيرهم من أنبياء الله عز وجل إلا كذلك، ولذلك فإن المرء كلما طال عمره ووافق طول عمره حسن عمل فإنها علامة على خيرية أرادها الله عز وجل له.

ثبت في السنن بإسناد صحيح من حديث عبد الله بن بسنٍ رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**خَيْرُكُمْ مَنْ طَالَ عُمُرُهُ وَحَسَنَ عَمَلُهُ**».

وفي المسند من حديث عبيد بن خالد الأسلمي رضي الله عنه أن النبي ﷺ حكى له حال رجلين توفيا، ف قيل إن أحدهما لحق [...] أن الأول قد مات قبل الثاني بسنة، فقال عليه الصلاة والسلام: «**فَأَيْنَ صَلَاتُهُ وَصِيَامُهُ وَدُعَاؤُهُ فِي هَذِهِ السَّنَةِ إِنْ بَيْنَهُمَا فِي الْجَنَّةِ لَبُونًا كَبِيرًا**». فكلما طال عمر المرء بشرط العمل الصالح كلما كان ذلك علامة على خيرية في ذلك الرجل، وصلاح فيه وكون الله سبحانه وتعالى أراد به الإحسان والسداد.

وقبل أن أبدأ بإجابة التساؤل الذي بدأنا به كيف يطيل المرء عمره؟ ويزيد فيه وينسأ

فيه؟ فنقول: هل يمكن أن يطيل المرء عمره؟ نقول: نعم. فَإِنَّ معتقد أهل السنة والجماعة أَنَّ المرء بإمكانه أن يطيل عمره، فيكون عمره خمسين مثلاً، فيفعل أفعالاً معينة فيقدر الله **عَزَّوَجَلَّ** له عمراً بعد ذلك أطول يصل إلى الستين أكثر أو أقل، وهذا الأمر حكاه عن أهل السنة غير واحدٍ من أهل العلم، بل قد صحَّ أَنَّ العمر يطيل عن عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب وابن مسعود وغيرهم من الصحابة -رضوان الله عليهم-. وقال السيوطي: «إِنَّ الأحاديث قد تواترت في الدلالة أَنَّ العمر يطول وينقص بحسب أعمالٍ معينةٍ يعملها المرء».

ويقول الشيخ تقي الدين بن تيمية **رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى**: «إِنَّ عمر الآدمي نوعان: عمرٌ مطلقٌ وعمرٌ مقيد، فأما المطلق فهو الذي يعلمه الله **عَزَّوَجَلَّ**، لا يتغير ولا يتبدل في علم الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، وأما المقيد فإنه يتغير، بحسب ما يكون مكتوباً في اللوح الموجود في السماء الدنيا أو بحسب ما أخبر به الملائكة» ومعنى كونه مقيداً **أَي**: أَنَّ الله **عَزَّوَجَلَّ** يوحى للملائكة الذين يتصرفون في شأن البشر وقبض أرواحهم، ويكتب **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** في اللوح الموجود في السماء، في سماء الدنيا وتنقل عنه الملائكة حوادث اليوم والليلة، يكتب فيه أَنَّ عمر فلانٍ مثلاً خمسين سنة، فإذا فعل كذا وكذا من الطاعات فَإِنَّ عمره يزيد إلى الستين أو السبعين أو نحو ذلك، وهذا معنى قوله: العمر المقيد **أَي**: مقيدٌ إن فعل كذا طال عمره وإن لم يفعل كذا بقي عمره على ما هو عليه.

وقد دلَّ على ذلك كتاب الله **عَزَّوَجَلَّ** فَإِنَّ ربنا **جَلَّ وَعَلَا** يقول: ﴿يَمْحُوا اللهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ ۖ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴿٣٩﴾﴾ [الرعد: ٣٩]. قال علي بن أبي طالب **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ** عندما تلا هذه الآية



قال: «إنَّ الله عزَّ وجلَّ كتابين: فكتابٌ هو عنده أم الكتاب لا يتغير ولا يتبدل وكتابٌ آخر في السماء الدنيا يمحو الله فيه ما يشاء ويثبت يكتب فيه عمراً ثم يزيده أو ينقص منه ويكتب فيه سعادةً لأمرؤ أو شقاءه فيعدلُه **جَلَّ وَعَلَا** ويبدله بما شاء **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**» وذلك قوله سبحانه: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ (٣٩).

قالوا: وفي قول الله عزَّ وجلَّ في قصة نوح **عَلَيْهِ السَّلَامُ**: ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُخْرِجْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [نوح: ٤]، قالوا: دليلٌ على أنَّ المرء يؤخر الله عزَّ وجلَّ أجله، ويمد فيه وينسأه، والأحاديث الدالة على ذلك كثيرة ومتعددة، وإنَّنا في هذه الليلة سأذكر لكم خمسة عشر عملاً، جاء عن النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** بأسانيد صحاح أو مقاربةً للصحاح أنَّ من فعلها وأحسن العمل فيها فإنَّ الله عزَّ وجلَّ يمد في عمره وينسأ له في أثره. نعم قد روي غير ذلك بأحاديث ضعيفةٍ شديدة الضعف أو موضوعة، وإنَّما نكتفي بالصحيح وما قاربه.

فأول هذه الأعمال التي من فعلها فإن الله عز وجل يمد في عمره،  
وينسأ له في أثره، ويزيد له في أمدته قالوا: تقوى الله سبحانه وتعالى

فالمرء إذا اتقى الله جل وعلا وجعل أمر الله سبحانه وتعالى أمام ناظريه، فما يعمل عملاً إلا وهو مراقب له جل وعلا، خائفاً من عذابه راجياً ثوابه فذاك الذي يمد الله عز وجل في عمره وينسأ له في أثره، وقد صحَّ في السنن أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: «مَنْ أَرَادَ أَنْ يُطَالَ لَهُ فِي عُمُرِهِ وَيُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ وَيَزَادَ لَهُ فِي رِزْقِهِ فَلْيَتَّقِ اللَّهَ وَلْيَبِرَّ وَالِدَيْهِ». فتقوى الله عز وجل سببٌ لذلك واضحٌ وبينٌ أيما وضوح، وقد جاء في قصة نوح عليه السلام عندما دعا قومه بالإيمان وأرشدهم في طاعة الرحمن جل وعلا قال لهم: ﴿يَقُومُ إِلَيَّ لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ ١ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَأَتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا ٢ يَغْفِرْ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُخْرِجَكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ٣﴾ [نوح: ٢ - ٤]. فبين نوح عليه السلام أن من عبد الله حق عبادته، واتقاه كمال التقى فإن الله عز وجل يؤخر أجله ويمد في نسأه ويزيد في عمره إن قدره جل وعلا.

**الأمر الثاني:** مما صحَّ به النقل عن المصطفى **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**

أنَّه يطيل في العمر وينسأ في الأثر، قالوا: أن يبر المرء والديه.

وما ورد شيء عن النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** هو أصحُّ إسناداً في طول العمر من برِّ الوالدين حتى لقد روي عن النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** أكثر من خمسة عشر حديثاً مروية عنه **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** تدلُّ على أنَّ برِّ الوالدين سببٌ لطول العمر والمجد فيه ونسأ الأثر، وقد صحَّ عنه **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** من هذه الأحاديث حديث ثوبان أنَّ النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** قال: «**لَا يَزِيدُ فِي الْعُمْرِ إِلَّا بِرُّ الْوَالِدَيْنِ**». وقوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «**لَا يَزِيدُ فِي الْعُمْرِ إِلَّا بِرُّ الْوَالِدَيْنِ**». هذا الحصر ليس على وجهه وإنَّما للتأكيد على أنَّ برِّ الوالدين أعظم سببٍ لطول العمر والزيادة فيه ومده، وقد ثبت من حديث أنس **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** أنَّ النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** قال: «**مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُمَدَّ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ فِي عُمُرِهِ وَأَنْ يَزِيدَ فِي رِزْقِهِ فَلْيَبِرِّ وَالِدَيْهِ وَلْيَصِلْ رَحْمَهُ**» إنَّ المرء إذا برَّ والديه وأمضى وقته في الإحسان إليهم وبذل الجود لهم وخدمتهم وطاعتهم وبذل الجهد بل وغايته في الإحسان إليهم، فإنَّ الله **جَلَّ وَعَلَا** يخلف عليه وقته أضعافاً مضاعفة، إنَّ من الناس من يستغني دقائق معدودة يجالس فيها والديه، إمَّا أن يمرضهم أو أن يقوم بحاجتهم وربَّما أوكَل بهذه الأمور غيره من الناس ظناً منه أنَّ هذا الوقت الذي يبذله مع والديه إنَّما هو ضائع وهو غير محسوبٍ عليه، وما علم ذلك الرجل أو تلك المرأة أنَّ كل دقيقة يجلسها المرء مع والديه برًّا بهما وإحساناً إليهما وتمريضاً لهما وبذل الخدمة في الإحسان إليهما فإنَّ الله **عَزَّوَجَلَّ** يبدلها على المرء أضعافاً مضاعفة، ولذلك جاء في الأثر

أنَّ الجزاء من جنس العمل، فمن بذل وقته في برِّ الوالدين بذل الله **عَزَّوَجَلَّ** له عُمرًا يمد به نساءه ويجعل له في أثره، بل أعظم من ذلك فإنَّ النبيَّ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** كما ثبت في السنن رتب على من برَّ بوالديه ثلاثة أمور:

- **الأمر الأوَّل:** طول العمر.
- **والأمر الثاني:** الزيادة في الرزق.
- **والأمر الثالث:** النساء في الأثر.

وقد قيل في النساء في الأثر إمَّا أنَّه طول العمر وإمَّا أنَّه طيب الذكر حتى إنَّ المرء لا يمر بين الناس فيسمعون له ذكراً حسناً، ويكونون له إعجاباً وتبجيلاً وتوقيراً، وما ذاك إلا بسبب برِّه بوالديه، وهذا معنى وينسأ له في أثره. **أي:** يذكر ذكراً حسناً، وقيل في معنى قول النبيِّ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «**أَنَّ مَنْ بَرَّ وَالِدَيْهِ فَإِنَّهُ يُنْسَأُ لَهُ فِي أَثَرِهِ**» **أي:** أن من برَّ والديه فإنه يمد له في عمره في ذريته فيرزقه الله **عَزَّوَجَلَّ** ذريةً صالحين يذكر بهم بعد وفاته فكم من الناس لا يذكر بعد وفاته إلا بذريته ولا يترحم عليه إلا عندما يرى أبنائه من بعده قد أحسنوا، ولذلك فإنَّ النبيَّ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** لما سأله رجلٌ عمَّا بقي له من البرِّ بوالديه قال: «**أَنْ تَصِلَ رَحِمَهُمَا وَتَصِلَ صَدِيقَهُمَا**» لأنَّ المرء إن وصل رحم والديه وأحسن إلى صديقهما فإنَّهم عندما يرون هذا البرَّ والإحسان من ابن صديقهم وقريبهم دعوا لأبيه وأمه فكان هذا سبباً في برِّه

٠٣٦

**إذن:** فمن برَّ والديه أخلف الله **عَزَّوَجَلَّ** عليه الوقت الذي بذله في عمره مداً، وأخلف الله **عَزَّوَجَلَّ** عليه المال الذي بذله في برِّ والديه زيادةً في رزقه، وأخلف الله **عَزَّوَجَلَّ** عليه الجهد

الذي بذله طيباً في ذكره ونساً في أثره وصلاحاً في أبنائه، ولذلك جاء عن بعض السلف **رَحِمَهُ اللَّهُ** تَعَالَى أَنَّهُ قَالَ لَمَّا أَطَالَ فِي صَلَاتِهِ وَأَحْسَنَ فِيهَا كَانَ ابْنُهُ بِجَانِبِهِ فَقَالَ لَهُ ابْنُهُ: لَكَأَنَّكَ قَدْ أَطَلْتَ صَلَاتَكَ، فَقَالَ لَهُ أَبُوهُ: إِنِّي لَا أَطِيلُ صَلَاتِي لِأَجْلِكَ لِأَنَّ الْأَبَّ إِنْ أَحْسَنَ فِي عَمَلِهِ أَحْسَنَ اللَّهُ **عَزَّوَجَلَّ** لَهُ فِي ذُرِّيَّتِهِ وَحَفَظَهُمْ.



**الأمر الثالث:** ممّا يطيل الله **عَزَّوَجَلَّ** به العمر وينسأ به الأثر قالوا:

هي صلة الرحم

فيصل المرء رحمه ويحسن إليهم ويبذل الجهد والوسائل في الإحسان إليهم، وبذل الجود والكرم معهم، وقد قال النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ**: «مَنْ أَرَادَ أَنْ يُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ وَيُطَالَ لَهُ فِي عُمُرِهِ فَلْيَتَّقِ اللَّهَ وَلْيَبِرَّ وَالِدَيْهِ وَلْيَصِلْ رَحِمَهُ». ومن أعجب الآثار في ذلك ما جاء عن علي بن أبي طالب **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** فيما رواه الدينوري في «المجالسة» أن علياً **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** قال: «من ضمن لي واحدةً ضمنت له أربعة: من وصل رحمه طال عمره وأحبه أهله ووسع عليه في رزقه ودخل جنة ربه» فبين علي **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** أن في صلة الرحم أربع جزاءاتٍ من الله **عَزَّوَجَلَّ** يثاب عليها المرء، أولها أن الله **عَزَّوَجَلَّ** يطيل في عمره، وثانيها أنه **جَلَّ وَعَلَا** يزيد في رزقه وثالثها أن أهله يحبونه ورابعها أن الله **عَزَّوَجَلَّ** يدخله جنته.

❀ وقبل أن نتقل لما بعدها من المسائل، أود أن أنبه لمسألة مهمة وهي **ما هي الرحم التي يجب صلتها والإحسان إليها ويأثم المرء بقطيعتها؟**، فإن المرء ربّما كان منتخباً لقبيلةٍ أو عشيرةٍ أو عائلة، فهل كل من ينتخب لهذه القبيلة والعشيرة والعائلة يجب الإحسان إليه والبرّ به أم لا؟، نقول: إنّما تجب صلة الرحم للرحم المحرمة، ومعنى الرحم المحرمة التي لو فرض أن أحد الطرفين فيها ذكر، والآخر أنثى لحرم التزويج على سبيل التأييد، وذلك فيجب على المرء أن يصل أباه وأجداده، وأمه وجدّاته وأبناءه وأحفاده وأعمامه وعمّاته وأخواله وخالاته وأبناء أخيه وأبناء أخواته وبناته فهؤلاء هم الرحم المحرمة التي تجب

صلتها، والدليل على أن الذين تجب صلتهم إنما هم الرحم المحرمة ما ثبت عن النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** عند أهل السنن بإسناد صحيح من أنه نهى عن زواج المرأة بعمتها أو نكاح المرأة على عمتها وعلى خالتها قال: **«إِنَّكُمْ إِنْ فَعَلْتُمْ ذَلِكَ قَطَعْتُمْ أَرْحَامَكُمْ»**، فبين النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** أن ما بين المرأة وعمتها وخالتها إن كان من قطيعة فهي من قطيعة الرحم، ولم يحرم الله **عَزَّوَجَلَّ** ولا رسوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** زواج المرأة على ابنة عمها ممّا يدلُّ على أن ابنة العم وابن العم ليس من الرحم التي يجب صلتها، نعم هي من الرحم التي يجب الإحسان إليها، ويتأكد تأكيداً شديداً ولكن التي يجب صلتها إنما هي الرحم المحرمة دون غيرها، وإنك لتعجب أحياناً عندما ترى لرجل عمّة أو عمّة لأبيه أو خالةً لأمه ونحو ذلك، ولا يعرف عنها شيء ولا يسأل عن خبرها ولا ينظر في حاجتها فإن ذلك وأيم الله لهو المغبون، إن أقل ما يُسمّى صلةً للمسلم لمن أوجب الله **عَزَّوَجَلَّ** عليه صلتهم من الرحم المحرمة أربعة أمور يحسن التنبيه إليها:

• أول هذه الأمور الأربعة أنه يجب ألا يكون بينهم قطيعة ولا أذية، وقد جاء للنبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** أنه قال: **«صَلُّوا أَرْحَامَكُمْ وَلَوْ بِالسَّلَامِ»**، وفي رواية: **«بَلُّوا أَرْحَامَكُمْ وَلَوْ بِالسَّلَامِ»**، وقد احتج الإمام أحمد **رَحِمَهُ اللَّهُ** تعالى بهذا الحديث واستدل به فيجب على المسلم أن يصل رحمه ولو بالسلام، فإن السلام أقل ما يُسمّى صلة وأدنى درجات الصلة وليس بكمالها.

• والأمر الثاني: أنه يجب على المرء أن يصل رحمه بكف أذاه عنه، وقد صحَّ عن المصطفى **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** أنه قال: **«الْإِيمَانُ بَضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً أَذْنَاهَا إِمَاطَةٌ**

**الأذى عن الطريق**» فكف الأذى عن أخيك المسلم عموماً وعن الرحم التي تجب صلتها بالخصوص هذا من الأمور الواجبة على المسلم التي إن تركها أثم ولا شك.

• **والأمر الثالث:** أنه يجب لهم عليه النفقة إن كانوا محتاجين، فإنَّ النفقة على القربات إن كانوا محتاجين واجبةً على المرء، فإن كان للمرء أبٌ أو ابنٌ أو أخٌ أو أختٌ أو عمٌ أو عمةٌ محتاجٌ للنفقة فيجب عليه أن ينفق عليه، وأن يحسن إليهم إن كان **عزَّجَلَّ** قد أوسع عليه، وهذه أيضاً من الصلة الواجبة التي يَأْثَمُ بتركها، ولذلك قرر غير واحدٍ من أهل العلم من المحققين، وهو قول جمهور الفقهاء **رَحِمَهُمُ اللَّهُ** تَعَالَى أَنَّ النفقة واجبةٌ على الأقارب ويعنون بالأقارب من ذكرت لك ضابطه.

• **والأمر الرابع:** في صلة الرحم الواجبة قالوا أن يكون المرء داعياً لقربته، محسناً إليهم بالاستغفار إليهم، وقد روى الترمذي أن أبا ذرٍ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** أتى النبيَّ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** فقال: يا رسول الله يكون بيني وبين قرابة ما يكون بين القربات، فقال **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: **«فَإِنَّ أَنْتَ مِنَ الْإِسْتِغْفَارِ لَهُمْ»** إنَّ المرء إذا دعا لقربته وأكثر من الاستغفار له والدعاء والابتهاال عند الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** أن يتجاوز عنهم وأن يزيد في رزقهم وأن يبارك لهم في ذريتهم وولدهم فإنَّ الله **عزَّجَلَّ** يزيل ما في النفوس من الضغينة ويبدلها محبةً ووثاماً وألفةً واتفاقاً.

ولذلك فإنَّ أقل ما يسمَّى صلةً للرحم أن يأتي المرء بهذه الأمور الأربعة: أن يدعو لهم وأن ينفق عليهم إن كانوا محتاجين وأن يصلهم ولو بالسلام وأن يمنع عنهم الأذى بكلامه

وفعله ونحو ذلك. وأمّا الزيادة على هذه الأمور فإنّ الناس فيها يتفاضلون بين مقلٍ ومستكثر، فمن امرء قد بلغ في الوصل منتهاه فلا تكاد تجد له منقصةً ولا تكاد تجد له أمراً يعاب به في برِّ والديه وصلته برحمه، ومن امرء فتح الله عزَّ وجلَّ له في بابٍ دون بابٍ وهكذا.



الأمر الرابع: مما جاء عن النبي ﷺ

أنه يطيل العمر هو:

حسن الخلق

وقد ثبت عن النبي ﷺ في مسند الإمام أحمد بإسنادٍ صحيحٍ من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنه - عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم - قال: «حُسْنُ الْخُلُقِ يَعْمُرُ الدِّيَارَ وَيَزِيدُ فِي الْأَعْمَارِ»، فالمرء إذا حسن خلقه وطاب وجمّله بتجميل الله عزَّ وجلَّ له فيه، فإنَّ هذا علامة بطول عمره والبسط في أثره، وممَّا قرره النبي ﷺ أنَّ الأخلاق على نوعين:

- أخلاقٌ يجعلها الله عزَّ وجلَّ ويفطرها في المرء، فيكون مفطوراً على الأخلاق الحسنة المرضية كما جاء سيد وفد عبد قيس للنبي ﷺ، فقال له الرسول ﷺ: «إِنَّ فِيكَ خَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ الْحِلْمُ وَالْإِنَاءَةُ». فقال: أهما أمران فطرني الله عزَّ وجلَّ عليهما أم تطبعت بهما؟ فقال النبي ﷺ: «بَلْ فَطَرَكَ اللَّهُ عزَّ وجلَّ عَلَى هَاتَيْنِ الْخَصْلَتَيْنِ». فقال: الحمد لله الذي فطرني على ما يحبه الله ورسوله ﷺ. وممَّا جاء عن النبي ﷺ أنه ذكر أقواماً وثاماً أصحاب بلدانٍ بعينها، أنَّهُم أصحاب أخلاقٍ طيبةٍ مرضيةٍ، فمن ذلك ما جاء في صحيح مسلم أنه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قال: «لَوْ جِئْتَ أَهْلَ عُمَانَ مَا سَبُّوكَ وَلَا شَتَمُوكَ»، قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: «وهذا الحديث دليلٌ على أنَّ أهل تلك البلاد أهل رقةٍ وعدم أذيةٍ للناس وهذه

من الأخلاق التي جبلها الله عزَّ وجلَّ على أو أهل بعض البلاد على ذلك الأمر». وعمان في قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ تشمل البلاد المعروفة الآن والإمارات والأحساء من جزيرة العرب، فإنَّ هذه كما قال النووي في شرح مسلم: كانت تسمَّى على لسان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ عما نا.

- **والنوع الثاني:** من الأخلاق التي بينها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أخلاقٌ يتخلقها المرء ويتجمل بها، ويتأدب بها ويفطر نفسه عليها فطرا، وقد روى الطبراني في المعجم بإسنادٍ لا بأس به أنَّ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «**إِنَّمَا الْعِلْمُ بِالتَّعَلُّمِ وَالْحِلْمُ بِالتَّحَلُّمِ**». فالمرء إذا رغب التحلم وتأدب بهذا الأدب وقرأ سيرة المتحلمين وجالسهم، وحرص على الاقتداء بهم فإنَّه يرزق هذا الخلق ويكون متحلماً كحال المتحلمين، والضد بالضد، فمن جالس الحمقى الذين يغضبون عند أدنى كلمة ويستعجلون في إبداء غضبهم وإظهاره ويُجالسهم ويُعجب بحالهم فإنَّه يسوء خلقه ويكون حاله كحالهم، إنَّ من النَّاس من يظن أنَّه إن أحسن خلقه وطيبه وأجاد فيه أنَّه يُغمط من حقه ويظلم، ولذلك بيَّن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّ من حَسُنَ خلقه مد الله عزَّ وجلَّ له في عمره ونسأ له فيه ظناً أو مخالفةً لظن مَنْ ظن أنَّ في حسن الخلق والأدب مع النَّاس غظاظَةً على النفس وإنقاص للحق فيها.

الأمر الخامس: ممّا جاء عن النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ

أنّه يمد في العمر وينسأ في الأثر قالوا: هو حسن الجوار

وقد صحّ في الحديث المتقدم الذي رواه الإمام أحمد بإسناد صحيح من حديث عبد الرحمن بن القاسم عن أبيه عن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال من أراد أو أنّه قال: «صَلَّةُ الرَّحِمِ وَحُسْنُ الْجَوَارِ وَحُسْنُ الْخُلُقِ يَزِيدَانِ فِي الْأَعْمَارِ». فمن أحسن إلى جيرانه وأجاد معهم الخلق وتكرّم معهم بأطيب المكارم فإنّ ذلك الذي يمد الله عزّ وجلّ في عمره وينسأ في أثره، وإنّ حسن الجوار للجار وحسن التعامل معه لأمرٌ عجيب، ولكننا نكتفي بأربع أو بثلاث خصالٍ من فعلها فإنّه هو المحسن ولا شكّ، من هذه الخصال:

❖ أن يحرص المرء على أن يصبر على أذى جاره، فإنّ الصبر على أذى الجار هو من حسن للجوار، إنّ من النَّاسِ من يكافئ جاره، الند بالند والحبّة بالحبّة ويظن أنّه في ذلك عادل، نعم هو عادل ولكن ذلك ليس بحسن الجوار، إنّما حسن الجوار أن جارك إن أخطأ عليك أو أساء إليك قصداً أو من دون قصد أن تصبر عليه ولا تؤذيه، ولذلك جاء عن الحسن البصري رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى أنّه قال: «حسن الجوار ليس بكف الأذى وإنّما بالصبر على الأذى». حسن الجوار لا يكون بكف الأذى عن الجار وإنّما يكون بالصبر على أذاه، ولذلك جاء أن عروة بن الزبير رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى أو أخوه المنذر بن

الزبير كما نقل ذلك الزبير بن بكار في «جمهرة نسب قريش» أنه كان له جار يؤذيه فأراد أن يفتك من أذاه، فاشترى داره بثمن النساء على أن له الخيار في ذلك، فبدأ بجمع ثمن تلك الدار حتى إذا صلى مرة سمع قول الله عز وجل في الوصية بالإحسان إلى الجار فقال: أسمع وصية الله عز وجل، فترك شراء دار جاره وصبر على أذاه فكان ذلك منقبة له إلى قيام الساعة.

**إذن:** فمن صور حسن الجوار مع الجار الصبر على الأذى دون كف أذاه، فإن هذا من باب أولى واجب حق وهو حق لكل مسلم.

❖ مما يكون لحسن الجوار الحرص على الإهداء للجار ولو شيئاً قليلاً، وقد ثبت عن

النبي صلى الله عليه وسلم في المسند والموطأ أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يَا نِسَاءَ

الْمُؤْمِنَاتِ لَا تَحْقِرَنَّ جَارَةً أَنْ تُهْدِيَ لِحَارَتِهَا وَلَوْ كُرَاعًا مِنْ شَاةٍ». أي: لا تحقر المرأة

أن تهدي لجارتها ولو شيئاً يسيراً، وهو كراع شاة أي: كوارع الشاة المحرقة فتهديها

لجارتها، وقد جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم عند الترمذي وغيره أنه قال: «إِذَا طَبَخَ

أَحَدُكُمْ لَحْمًا فَلْيَزِدْ فِي مَرَقَةٍ ثُمَّ لِيُهْدِ لِحَارِهِ فَإِنْ لَمْ يُصَبْ لَحْمًا أَصَابَ مَرَقًا»، فليكثر

المرء من الهدية لجاره فإن في ذلك سبباً لدوام المحبة وطول المودة بينه بتوفيق الله

عز وجل. وإن العجب حقيقة عندما يترك الناس هذا الهدى النبوي عن المصطفى

صلى الله عليه وسلم بترك الإهداء بزعم أن الهدية القليلة غير كافية للجار الغني، وربما كان

الجار الغني يتأفف ويترفع عن قبول الهدية الصغيرة، وفي ذلك مخالفة لهدى النبي

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَإِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما ردَّ هديةً قط، بل إذا أهديت له هديةً قبلها، وكافاً عليها بمثلها أو أحسن من ذلك، وكان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقبل هدايا جيرانه ويشيب عليها ويقبل أقل الهدايا ولو كانت قضييًّا من أراكِ **أي**: سواك.

**المقصود:** أن المسلم يحرص على أن يفدي لأخيه المسلم من جيرانه بالخصوص الشيء الكثير وإن قلَّ ثمنه وزهد في قيمته، وليحرص على قبول هدية جاره وألا يترفع عنها ولا يتأفف منها.



**الأمر السادس:** ممّا جاء عن النبي ﷺ

أنّه يطيل العمر وينسأ في الأثر قالوا: هو المتابعة بين الحجّ والعمرة

وقد روى الدار القطني من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنّ النبي ﷺ قال: «تَابِعُوا بَيْنَ الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ فَإِنَّهُمَا يَنْفِيَانِ الْخَبَثَ وَالذُّنُوبَ كَمَا تَنْفِي النَّارُ خَبَثَ الْحَدِيدِ وَإِنَّهُمَا يُطِيلَانِ فِي الْعُمُرِ». وهذه الزيادة تفرّد بها سفيان بن عيينة ولأهل العلم كلام فيها.

**فالمقصود:** أنّ المتابعة بين الحجّ والعمرة من الأمور الفاضلة ولا شكّ، وممّا جاء في الحديث أنّها تطيل في العمر، وقد صحّ عن النبي ﷺ فيما رواه ابن حبان من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنّ النبي ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ قَالَ: إِنَّ عَبْدًا أَصْحَحْتُ لَهُ فِي بَدَنِهِ وَوَسَّعْتُ عَلَيْهِ فِي رِزْقِهِ ثُمَّ تَمُرُّ عَلَيْهِ خَمْسُ سِنِينَ لَا يَفِدُ إِلَيَّ لِمَحْرُومٍ». فبيّن الله عزّ وجلّ في هذا الحديث القدسي العظيم الصحيح سنداً أنّ المرء إذا مرّت عليه خمس سنين لا يفد إلى بيت الله عزّ وجلّ حاجاً أو معتمراً فإنّه يكون محروماً، ووجه حرمانه أنّ في ذهاب المرء إلى بيت الله عزّ وجلّ معتمراً أو حاجاً أجورٌ عظام منها أجورٌ في الدنيا، وهو ذهاب الفقر والزيادة في العمر كما جاء في الحديث المتقدم عن عمر عن النبي ﷺ.

## الأمر السابع: ممّا جاء عن النبيّ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أنّه يمد في العمر ويزيد فيه قالوا: اسبغ الوضوء

وقد جاء عن النبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من حديث أنس أن النبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال له: «يَا أَنَسُ اسْبِغِ الْوُضُوءَ يَطُلْ فِي عُمْرِكَ»، وهذا الحديث روي عن أنسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من نحو تسعة طرق وإن كان ابن أبي حاتم نقل عن أبيه أبي حاتم الرازي أنّ هذه الطرق على تعددها فيها ضعف، إلّا أنّ الحافظ ابن حجر أبا الفضل علي بن أحمد بن حجر رَحِمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى له جزءٌ مخطوطٌ موجودٌ في الظاهرية في تتبع طرق هذا الحديث وكأنّه يميل إلى تحسينه وتجويد إسناده، فبيّن النبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في هذا الحديث إن صحّ، أنّ اسبغ الوضوء سببٌ لطول العمر ومده لأنسٍ وغيره من الناس، وأنسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مدّ الله له في عمره حتى قارب مئة سنة، والسبب في ذلك أمورٌ متعددةٌ لعلّ منها أنّه امتثل أمر النبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بإسبغ الوضوء، والمراد بإسبغ الوضوء: أن يحرص المرء على أن يتبع سنة النبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الوضوء، فيتوضأ كما توضأ النبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وليس المراد بإسبغ الوضوء كثرة الماء أو الوضوء غير المحوج كما سنتكلم بعد قليل، والدليل على ذلك ما ثبت في الصحيح من حديث حمران مولى عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنّه قال النبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ تَوَضَّأَ نَحْوَ وَضُوءِي هَذَا ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ لَا يُحَدِّثُ فِيهِمَا نَفْسَهُ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ». فبيّن النبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنّ الوضوء الكامل هو ما توضأ به - عليه أفضل الصلاة وأتمّ التسليم -، وقد صحّ في أحاديث متعددة عنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنّه كان

يتوضأ بماء وهو ملء اليدين مجموعتين معاً، ويغتسل **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** بصاع واحد وهو أربعة أمدد، ولَمَّا جاء بعض الصحابة فقال لمحمد بن علي بن الحنفية أو قال لجابر، فلَمَّا جاء بعض المتأخرين من التابعين **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** فسمع هذا الحديث عن النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** يرويه جابر عن النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** قال: إِنَّهُ لَا يَكْفِينِي مَدٌّ فِي الْوُضُوءِ وَلَا صَاعٌ فِي الْاِغْتِسَالِ، غَضِبَ جَابِرٌ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** فقال: لَقَدْ كَانَ يَكْفِي مَنْ هُوَ أَوْفَرُ مِنْكَ شَعْرًا. **يعني**: النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** وهو كمال الامتثال.

**فالمقصود**: أَنَّ اسْبَاغَ الْوُضُوءِ الْمُرَادُ بِهِ اتِّبَاعُ سُنَّةِ النَّبِيِّ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** مِنْ غَيْرِ زِيَادَةٍ فِي الْعَدَدِ وَلَا إِسْرَافٍ فِي الْمَاءِ وَلَا مَبَالِغَةٍ فِيمَا لَمْ يَأْمُرَ اللَّهُ **عَزَّ وَجَلَّ** فِيهِ مِنْ مَبَالِغَةٍ، وَقَدْ جَاءَ فِي حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ رَبِّهِ أَنَّ النَّبِيَّ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** قَالَ: «مَنْ زَادَ عَلَى ذَلِكَ - أَي: عَلَى ثَلَاثِ غَسَلَاتٍ - فَقَدْ أَسَاءَ». **أي**: فَقَدْ أَسَاءَ فِي الْوُضُوءِ مِمَّا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْمَقْصُودَ الْمُتَابِعَ.

❖ **الأمر الثاني**: فِي قَضِيَّةِ اسْبَاغِ الْوُضُوءِ أَنَّ الْفُقَهَاءَ **رَحِمَهُمُ اللَّهُ** تَعَالَى لَقَدْ ذَكَرُوا وَهَذَا هُوَ مَا قَرَّرَهُ الشَّيْخُ تَقِيُّ الدِّينِ **رَحِمَهُ اللَّهُ** تَعَالَى أَنَّ الْوُضُوءَ لَا يَشْرَعُ تَكَرُّارُهُ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ إِلَّا أَنْ يَفْصَلَ بَيْنَ الْوُضُوءَيْنِ حَدَثٌ وَهَذَا وَاضِحٌ وَجَلِيٌّ أَوْ عِبَادَةٌ يَشْرَعُ لِمِثْلِهَا الْوُضُوءُ. **يعني**: يَجِبُ لَهَا الْوُضُوءُ، فَلَا يَتَوَضَّأُ الْمَرْءُ ثُمَّ يَتَوَضَّأُ بَعْدَ عَشْرِ دَقَائِقَ مَرَّةً أُخْرَى، فَإِنَّ هَذَا عَلَى خِلَافِ سُنَّةِ النَّبِيِّ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، بَلْ لَا يَتَوَضَّأُ بَعْدَ وَضُوئِهِ الْأَوَّلِ إِلَّا أَنْ يَحْدُثَ أَوْ أَنْ يَأْتِيَ بِعِبَادَةٍ كَصَلَاةٍ وَاجِبَةٍ أَوْ طَوَافٍ وَنَحْوِ ذَلِكَ مِمَّا يَشْتَرِطُ لَهُ الْوُضُوءُ وَجُوبًا.

**إذن**: هَذَا هُوَ مَعْنَى اسْبَاغِ الْوُضُوءِ الَّذِي يَمْدُ اللَّهُ **عَزَّ وَجَلَّ** فِيهِ فِي الْعَمْرِ، وَمِنْ عَجِيبِ مَا مَرَّ عَلَيَّ أَنِّي قَرَأْتُ خَبْرًا عَنْ إِحْصَائِيَّةٍ كَانَتْ فِي أَوَائِلِ الثَّمَانِينَ مِنَ الْقَرْنِ الْمُنْصَرَمِ **أي**:

ألف وتسعمائة وثمانين في الصين، فذكر هذا الذي ذهب للصين وذكر هذه التراجم أنَّ بعض علماء الاجتماع في تلك البلاد **أعني**: الصين وجدوا أنَّ بعض المقاطعات في الصين، في غربيها أنَّ أصحاب تلك البلد قد طال عمرهم طولاً أبين من البلدان الأخرى في الصين، فبحثوا عن هذا السبب ونظروا في حالهم ومعاشهم ونظروا في تصرفاتهم، فإذا بأولئك القوم قومٌ مسلمون، فنظروا في تصرفات المسلمين فلم يجدوا أنَّهم يفعلون شيئاً يخالف غيرهم من المقاطعات الأخرى من الصين إلا أنَّهم يتوضؤون، فخرجت هذه الدراسة بنتيجة أنَّ سبب طول عمر هؤلاء أصحاب هذه المقاطعة وهم من المسلمين أنَّهم يغسلون أقدامهم، وهذه الدراسة ذكرها الشيخ العبودي في رحلته إلى الصين مترجمةً عن مصدرها.

**فالمقصود:** من هذا أنَّهم ظنوا أنَّ سبب طول العمر هو غسل القدمين. أقول وقد جاء

عن النبي ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «يَا أَنَسُ أَسْبَغِ الْوُضُوءَ يُطُولَ فِي عُمرِكَ».

**الأمر الثامن:** ممّا جاء في الأثر أنّه يطيل في العمر قالوا:

اختيار البلدان التي لا وباء فيها وتكون صحيحة في هوائها

وقد روى الإمام مالك عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنّه قال: «لبيت في رُكبة أحب إلي من عشرة أبيات في الشام». قال الإمام مالك في الموطأ يريد عمر رضي الله عنه ما يكون من طول الأعمار والبقاء؛ لأنّ رُكبة أصحُّ هواءً من الشام، ورُكبة هي: قرية على شقي الطائف تبعد عنها نحو من مائة كيلو، وهي قرية نائية، وقد زرت هذه القرية قبل أكثر من عشر سنين فصليت في مسجدها، فمن غريب الأمر أنّي وجدت مسجدًا ممتلئًا بكبار السن الطاعنين فيه، فلمّا سألتهم عن أعمارهم وقد كنت أعرف خبر عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان أغلبهم يجيب بأنّه قد جاوز الثمانين والتسعين من عمره، ولعلّ هذا مصداق ما ذكر عمر رضي الله عنه عن رُكبة فإنّها أصحُّ هواءً وإن كانت في طرف الحجاز بينها وبين نجد وهي مدينة أو قرية صغيرة معروفة.

الأمر التاسع: من الأسباب التي جاء عن النبي ﷺ

أنّها تطيل في العمر قالوا: صنائع المعروف والإحسان للناس والجود

عليهم بالمال والجاه والوقت والعمل وغير ذلك من الأعمال

وقد جاء عن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: «الصدقة على وجهها وبرُّ الوالدين واصطناع المعروف يحوّل الشقاء سعادةً ويزيد في العمر ويقي مصارع السوء». فمن اصطنع المعروف عند الناس وأحسن إليهم وبذل وجهه وجاهه وبذل ماله وبذل وقته وعمله في إغاثة ملهوفٍ ونصرة مكروبٍ فإنّ هذا من اصطناع المعروف الذي بيّن النبي ﷺ أَنَّهُ يقي مصارع السوء، ففي ذلك سبب بأمر الله عزَّ وجلَّ لإطالة العمر والمد فيه.

الأمر العاشر: ممّا جاء عن النبي ﷺ

أنّه يطيل في العمر قالوا:

الصدقة

وقد صحّ عن النبي ﷺ في أحاديث كثيرة يشدّ إسناد بعضها بعضها فهو حسنٌ بمجموع طرقه أنّ النبي ﷺ قال: «الْصَّدَقَةُ تَقِي مَصَارِعَ الشُّوءِ». وقد سبق معنا عن عليّ رضي الله عنه أنّه قال: «إِنَّ الصَّدَقَةَ عَلَى وَجْهِهَا وَبِرَّ الْوَالِدِينَ وَاصْطِنَاعَ الْمَعْرُوفِ يَحَوِّلُ الشَّقَاءَ سَعَادَةً وَيَزِيدُ فِي الْعُمُرِ». الإكثار من الصدقة وأعني بالصدقة المندوبة دون الواجبة التي لا منة للمرء فيها وهي الزكاة، فإنّه قد جاء في الحديث أنّها تمتد في العمر وتنسأ فيه وتزيد.

وممّا جاء في ذلك من القصص ما روى الطبراني وممّا نعلمه أنّ الأخبار التي جاءت عن النبي ﷺ أو أنّ الأخبار التي نُقلت عن بني إسرائيل بين أهل العلم رَحِمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى، بَيَّنَّا أَنَّهَا عَلَى ثَلَاثَةِ أَوْجَهِ:

❖ فمن الأخبار التي جاءت عن بني إسرائيل ما يجب الجزم بصحته، وهو ما صحّ عن النبي ﷺ النقل فيه أو جاء في كتاب الله عزَّ وجلَّ.

❖ ومن أخبار بني إسرائيل ما لا يجوز روايته ولا نقله ولا تصديقه وهو ما رُوي بإسنادٍ مكذوبٍ أو موضوع.

❖ والنوع الثالث من أخبار بني إسرائيل ما قال عنه النبي ﷺ: «حَدِّثُوا عَنْ بَنِي

إِسْرَائِيلَ وَلَا حَرَجَ وَلَكِنْ لَا تُصَدِّقُوهُمْ وَلَا تُكْذِّبُوهُمْ» قالوا: وهو أحد أمرين:

• إِمَّا ما جاء عن مسلمة أهل الكتاب كوهب بن منبه وكعب الأحبار وغيرهم وعبد الله

بن سلام وغيره -رضي الله عن الجميع-.

• أو ما جاء النقل به لكنه بإسنادٍ ضعيفٍ ضعفاً يسيراً أو منجبراً فإنه يكون من أخبار

بني إسرائيل.

ومن هذا ما جاء عند الطبراني في قصةٍ كانت في عهد عيسى بن مريم **عَلَيْهِ السَّلَامُ**، فإنه قيل أو فإنه رُوي عند الطبراني أبي سليمان أن عيسى بن مريم -عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم التسليم- مرَّ به قومٌ يذهبون ليحتطبوا فقال لهم عيسى بن مريم: إِنَّ أَحَدَكُمْ سَيَمُوتُ الليلة، فذهبوا في طريقهم محتطبين، فلَمَّا جاء العشاء وهو نهاية اليوم رجعوا مع طريقهم نفسه، فمرُّوا على عيسى بن مريم فنظر إليهم فإذا هم كما هم لم ينقص منهم أحد ولم يمت منهم أحد، فلَمَّا جاءوا إلى عيسى بن مريم ناداهم عيسى بن مريم **عَلَيْهِ السَّلَامُ** فإذا معهم حزمة حطب حملها أحدهم على ظهره، فقال له: فَكَّ هذه الحزمة، فلَمَّا فَكَّها فإذا فيها حَيَّةٌ سوداء قاتلة فخرجت من بين الحطب تجري منسلَّةً نَجَّاهُ اللهُ **عَزَّوَجَلَّ** منها، فالتفت عيسى بن مريم لذلك الرجل الذي كان حاملاً لحزمة الحطب وفيها الحَيَّةُ ولكنها لم تلدغه، فقال: ما فعلت؟، قال: إِنِّي عندما خرجت معك كانت معي فلقة خبزٍ **أَي**: قطعة خبز فمرَّ بي سائلٌ فغمستها في ماءٍ فأعطيته إياها فأكلها، فقال عيسى بن مريم -عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام-: فَإِنَّ اللهَ **عَزَّوَجَلَّ** قد مدَّ بعمرِكَ بسبب تلك الفلقة **أَي**: قطعة الخبز، وهذا الخبر

مصدق ما جاء عن النبي ﷺ: «أن الصدقة تقي مصارع السوء» أو ما جاء  
عن علي رضي الله عنه أن الصدقة تزيد في العمر.



السبب الحادي عشر: ممّا جاء الأثر فيه أنّه يمدُّ في العمر قالوا:

## طلب العلم

فإنَّ المرء إذا طلب العلم وخصوصاً طلب علم الحديث فإنَّ الله **عَزَّوَجَلَّ** يمدُّ في عمره، والسبب في ذلك أنَّ هذا العلم أنَّ هذا الدين جعله الله **عَزَّوَجَلَّ** من خصائصه أنَّ العلم بهذا الدين **أعني**: الإسلام، جعل الله **عَزَّوَجَلَّ** من خصائصه أنّه ينقله الأصغر عن الأكبر، ولذلك جاء في مقدمة مسلم عن عبد الله بن مبارك **رَحِمَهُ اللهُ** تَعَالَى أنّه قال: «الإِسْنَاد من الدين فإن قيل عمّا بقي» فهذا العلم ينقله من كل عصرٍ عدوله ينقلونه عن أشياخهم وأشياخهم ينقلونه عن أشياخهم وهكذا، ولذلك قال النبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «نَظَرَ اللهُ امرأً سَمِعَ مَقَالَتي فَأَدَّاهَا كَمَا سَمِعَهَا فَرُبَّ مُبَلِّغٍ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ»، ولذلك يقول محمّد بن عبد الله الأودي المتوفى سنة ثلاثمائة وخمسين من الهجرة: «سمعت شيوخنا يقولون: دليل طول عمر الرجل اشتغاله بأحاديث الرسول **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**». وأنت لا تعجب بعد ذلك عندما ترى كثيراً من علماء الحديث كأبي طاهر السلفي وغيره قد جاوز عمرهم عشراتِ طوَالٍ من العمر فلعلَّ ذلك من بركة العلم الذي حوته صدورهم إذ الله **عَزَّوَجَلَّ** يحفظ الصدور التي حوت العلم، وقد جاء عن عكرمة **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ** قال: «إِنَّ الله **عَزَّوَجَلَّ** قد تَأَذَّنَ ألاَّ يخرف عقل امرئٍ حوى القرآن في قلبه». فمن حوى القرآن في قلبه حفظاً وفهماً واستنباطاً وعملاً قبل ذلك فإنَّ الله **عَزَّوَجَلَّ** يحفظه من الخرف ويحفظه ويمدُّ في عمره لينقل هذا العلم لمن بعده.

السبب الثاني عشر: من أسباب طول العمر والمد فيه قالوا:

العدل لمن وُلِّي ولاية

فمن وُلِّي ولاية على غيره ولو كانت صغيرة فكان مسؤولاً عن أقوام فعدل بينهم، وأحسن النظر فيهم فأعطى كل ذي حق حقه، ولم يظلم أحداً أو ينقصه حقه أو ينقصه منه شيئاً فإن الله عزَّ وجلَّ يخلفه مدّاً في عمره، وقد رُوي في ذلك حديث عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، ورُوي في ذلك خبر رواه الخطيب البغدادي وابن الجوزي بإسنادٍ فيه مقال أن ملكين أخوين كانا في عهد بني إسرائيل، وكان كل واحدٍ من هذين الملكين في قرية دون القرية الأخرى، فأما أول الملكين فإنه كان رجلاً عادلاً، واصلاً لرحمه، وأما الثاني فإنه كان رجلاً ظالماً، قاطعاً لرحمه، وإن الله عزَّ وجلَّ أوحى لنبيٍّ من أنبياء الله عزَّ وجلَّ كان مُدركاً لهذين الملكين أن الملك الأول العادل الواصل لرحمه إنما بقي من عمره ثلاث سنين، وأن الملك الثاني الذي هو ظالمٌ قاطعٌ لرحمه بقي من عمره ثلاثون سنة، فأخبر ذلك النبيُّ أهل هاتين القريتين بذلك فخرجوا إلى الله عزَّ وجلَّ بالدعاء، وخرجوا هم وأهلوهما إلى الفيافي يدعون الله عزَّ وجلَّ، فلَمَّا جاء نهاية النهار أوحى الله عزَّ وجلَّ لذلك النبيِّ أن الله عزَّ وجلَّ قد مدَّ في عمر العادل فصار ثلاثين وأن الله عزَّ وجلَّ قد قصر من عمر الظالم فصار ثلاثاً، فهذا من أثر العدل فإن صحَّ الحديث في ذلك والشواهد تدلُّ لمعناه فإن الله عزَّ وجلَّ يمدُّ في عمر العادل.

## السبب الرابع عشر: قالوا: أن يعنى المرء

بتوقير ذي الشيبة، واحترامه

فإن في توقير الشيبة سبب بأمر الله **عَزَّوَجَلَّ** لمد العمر، وقد جاء عند الترمذي بإسناد حسن أن النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** قال: «**مَا وَقَّرَ شَابٌ شَيْخًا إِلَّا قَيَّضَ اللَّهُ لَهُ فِي سَنِهِ مَنْ يُوقِّرُهُ**» قال الشيخ موسى الحجاوي **رَحِمَهُ اللَّهُ** تعالى في شرح «منظومة الآداب»: «وفي هذا دليل على أن من وقّر ذوي الشيبة في أوّل أمره فإنّ الله **عَزَّوَجَلَّ** سيمنّه في عمره حتى يكون مثلهم»، لأنّ النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** قال: «**إِلَّا قَيَّضَ اللَّهُ لَهُ فِي سَنِهِ أَيُّ**: سيكون كبيراً في سنه فيقَيِّض له من يوقّر في عمره، قال بعض أهل العلم: وإنّ من أعظم من يوقّر من ذوي الشيبة الوالدان وأهل العلم، فمن وقّر والديه وعني باحترامهما وبرّهما والإحسان إليهما وتوقير شبيتهما فإنّ هذا يكون سبباً في مدّ عمره، وكذا أهل العلم فيكون هذا الحديث داخل في السببين السابقين الذي سبق ذكرهما.

## السبب الأخير: قالوا: الدعاء

فإن المرء إذا دعا الله **عَزَّوَجَلَّ** فإن الله **عَزَّوَجَلَّ** يجيب دعاءه، فلذلك يقول النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** فيما صح عنه: «**وَلَا يَرُدُّ الْقَدَرَ إِلَّا الدُّعَاءُ**». والمراد بالقدر أي: القدر المكتوب في لوح السماء الدنيا الذي يمحوه الله **عَزَّوَجَلَّ** فيه ما يشاء ويثبت، فإن المرء إذا دعا الله **عَزَّوَجَلَّ** بالشفاء من المرض، والمد في العمر فإن الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** يجيب الدعاء، وقد دعا النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** لأنس بن مالك بأن يطيل الله في عمره، فإن النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** كان ماراً مرة فجاءت أم سليم، أم أنس فأخذت بثوب النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، وقالت: يا رسول الله أنيس خويدمك، تقصد أنس بن مالك لأنها أمه قالت: أنيس خويدمك يا رسول الله فادعوا الله له، فمد النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** يديه وقال: «**اللَّهُمَّ مَدِّ فِي عُمَرِهِ وَزِدْ فِي وَلَدِهِ**» قال أنس **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**: فدعا لي النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** بثلاث دعوات رأيت اثنتين منهما **يعني**: طول العمر وكثرة الولد، قال: حتى إنه ليثمر لي النخل مرتين في السنة، وإني عددت من ولدي نحواً من مئة **أي**: من ولده، وولد ولده نحواً من مئة، وأما عمره فإنه قد كان من آخر الصحابة - رضوان الله عليهم - وفاة في الكوفة ومن بعد ذلك، قال بعض أهل العلم: ومما يدل على أن الدعاء مشروع بطول العمر ما رُوينا والحديث فيه ضعف عند أبي نعيم في «الحلية» أن النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** - والحديث فيه ضعف شديد - أن النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** قال كان يدعو إذا دخل عليه رجب: «**اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي رَجَبٍ وَشَعْبَانَ**

**وَبَلَّغْنَا رَمَضَانَ**. قالوا: وفي هذا دليلٌ على أنَّ المرء يستحب له أن يدعو الله **عَزَّوَجَلَّ** بأنَّ يبلِّغه الأوقات الفاضلة كرمضان وذو الحِجَّة، ولكن هذا الحديث فيه ضعف شديد فلا يصحُّ الاستدلال به، وقد جاء عن سفيان بن سعيدٍ الثوري أنَّه قال: إنِّي لأستحي من الله **عَزَّوَجَلَّ** فإنِّي ما وقفت في هذا المقام -يعني: في عرفة- إلَّا سألت الله **عَزَّوَجَلَّ** أن يمدَّ في عمري حتى أدركه في السنة القادمة، وإنِّي أستحي من الله **عَزَّوَجَلَّ** أن أسأله في هذه السنة، فقبُض **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** ورحمه في تلك السنة، ولأهل العلم كلامٌ طويل في هل يشرع أن يدعو المرء لغيره من الناس بطول العمر؟ فيقول: أطال الله بقاءك وأطال عمرك ونحو ذلك، وممَّا أطال التَّفصيل فيها العلَّامة محمد بن مفلح **رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى** في «الآداب الشرعية»، ولعلَّ في ذلك دليلاً من فعل النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** وحاله أنَّه يشرع الدعاء ولكن الأفضل أن يقيّد بالطاعة، فيقال للمرء: أطال الله عمرك على الطاعة أو على الإحسان أو على البرِّ ونحو ذلك.

أمرٌ أخيرٌ قبل أن أختتم: أنَّه قد جاء في بعض الكتب بإسنادٍ صحيح أنَّ الأصمعي **رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى** رأى رجلاً في البادية أعرابياً قال فسألته: كم عمرك؟ فقال: عمري مئةٌ وعشرون سنة. فقال الأصمعي عبد الملك بن قريض: ما سبب طول عمرك؟ قال: تركت الغلَّ **أي**: الحسد، تركت الغلَّ فبقي. إنَّ المرء إذا سلم صدره لإخوانه وكان طاهراً نحوهم فإنَّ هذا سببٌ بتوفيق الله **عَزَّوَجَلَّ** لإثابته في الدنيا والآخرة، ولعلَّ ممَّا يثاب عليه في الدنيا أن يمدَّ الله في عمره لكن لم يرد في ذلك حديث وإنَّما هو خبرٌ رُوي عن الأصمعي عن بعض الأعراب، ولكن رُوي.

هذا على سبيل الإيجاز من دون إخلال، ذكر ما جاء عن النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** بإسنادٍ

صحيح أو مقارب، مما يطيل في العمر وهي أربعة عشر أمراً أو خمسة عشر أمر صح بها النقل عن النبي ﷺ.

أسأل الله العظيم رب العرش الكريم أن يمنّ علينا جميعاً بالهدى والتقى، وأن يرزقنا العلم النافع والعمل الصالح، وأن يتولانا بهداه، وأن يغفر لنا ولوالدينا وللمسلمين والمسلمات، وأسأله جَلَّ وَعَلَا أن يغفر لنا ولوالدينا، وأن يجزيهم خير ما جزى والدًا عن ولده، وأن يغفر لهم خطأهم في حقه جَلَّ وَعَلَا، وأن يغفر لنا خطأنا في حقهم، وأسأله جَلَّ وَعَلَا أن يغفر لموتانا وموتى المسلمين، وأسأله جَلَّ وَعَلَا أن يغفر لموتى المسلمين في كل مكان وللحاضرين خاصة.

فقد ذكر الإخوة أنَّ والدته حاكم الشارقة الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي توفيت عليها رحمة الله عزَّ وجلَّ فأسأل الله عزَّ وجلَّ أن يغفر لها، وأن يرحمها، وأن يتجاوز عنها وعنهما، وأن يغفر لها ولوالدينا وللمسلمين والمسلمات، وأسأله جَلَّ وَعَلَا أن يرزقنا العلم النافع والعمل الصالح، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

## الأسئلة:

**السؤال:** أحسن الله إليكم فضيلة الشيخ وبارك الله فيكم، فضيلة الشيخ وردنا سؤال من أحد الأخوات تسأل وتطلب رأيكم في مسألة كلما تقدّم لها خاطب ترفضه، بحجة أنّها عندما تستخير ترى أحلاماً مفزعة وكوابيس، وتقول هذا دليل على أنّ هذا الخاطب لا يصلح لي مع العلم فضيلة الشيخ أنّ الخطّاب الذين تقدّموا لها ممن يُشهد لهم بحسن الخلق والدين. فارجو التوضيح بارك الله فيكم.

**الجواب:** نعم، الحديث في هذا الموضوع ذو ثلاث شعبٍ وثلاثة مناحي:

- **المنحى الأول:** أنّ الشيطان من أحب ما يكون إليه أن يكون المرء أعزباً غير متزوج، وذلك أنّ الشيطان يبسط عرشه فيأتيه جنوده، فيأتيه أحدهم فيقول: ما زلت بفلانٍ حتى فعل كذا وكذا، فقال: ما فعلت شيئاً يكاد أن يستغفر فيتوب. ثمّ يأتيه الآخر فيقول مثل ذلك ثمّ يأتيه الثالث فيقول: ما زلت بفلانٍ حتى فارق زوجته، فيقول: أنت أنت فيدينه ويجلسه بجانبه. إنّ الشرع قد أمر وحثّ حثّاً أكيداً على أن يُعنى المرء بالزواج رجلاً كان أو امرأة، فقد صحّ عن النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ** أنّه قال: «**يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ فَإِنَّهُ أَغْضُ لِلْبَصْرِ وَأَحْفَظُ لِلْفَرْجِ**». وقال النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ**: «**إِذَا جَاءَكُمْ مِنْ تَرْضَوْنَ دِينَهُ وَخُلُقَهُ فَرَوْجُوهُ إِلَّا تَفْعَلُوا تَكُنْ فِتْنَةً فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ عَرِيضٌ**». فبيّن النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ** أنّ الزواج مقصدٌ شرعيٌّ مرغّبٌ إليه، مقصودٌ من مقاصد الشريعة الخمسة وهي: حفظ النفس والنسل الذي

جاء الشرع بحفظه ومراعاته والتأكيد عليه، والمرأة إذا جاءها كفؤها في حاله وفي دينه فإن قبولها به متأكدٌ عليها ولا شك. هذا الأمر الأول.

• **الأمر الثاني:** ما يتعلق بقضية الاستخارة، إن كثيراً من الناس إذا استخار الله عزَّ وجلَّ ظنَّ

أن الفائدة من الاستخارة هي أنه سيأتيه منامٌ في ليله فينبهه إلى الصواب من الأمرين أو أنه يفتح كتاباً أو مصحفاً فينظر فيه فيرى فيه الدليل لما اختار، أو أن يأتيه سامعٌ فيقول

له افعل كذا أو لا تفعل كذا، والحقيقة أنه لا شيء من ذلك البتة، قال ابن السبكي: قال

شيخنا ابن الزمكاني: «إن بعض الناس يظن أنه إذا استخار الله عزَّ وجلَّ فسوف تأتيه رؤيا

تدله أو يأتيه صارخٌ ومنبهٌ فينبهه وليس الأمر كذلك». وتأمل يا رعاك الله في حديث

النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم في الاستخارة، ففي صحيح البخاري من حديث جابر بن

عبد الله رضي الله عنه ما أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم كان يعلمهم الاستخارة كما يعلمهم

السورة من القرآن، قال: «إِذَا هُمْ أَحَدُكُمْ بِأَمْرِ فَلْيَرْكَعْ رَكَعَتَيْنِ مِنْ غَيْرِ الْفَرِيضَةِ ثُمَّ

لِيَقُلْ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ وَأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ وَأَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ الْعَظِيمِ

فإِنَّكَ تَعْلَمُ وَلَا أَعْلَمُ وَتَقْدِرُ وَلَا أَقْدِرُ وَأَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا

الْأَمْرَ خَيْرٌ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أُمْرِي أَوْ قَالَ: عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ فَارْكَبْهُ لِي وَيَسِّرْهُ لِي

ثُمَّ بَارِكْ لِي فِيهِ» فالمرء يدعو الله عزَّ وجلَّ إن كان في الأمر خيرةً له أن يكتبه الله عزَّ وجلَّ له،

وأن ييسره له ثم يبارك له فيه، يسأل الله عزَّ وجلَّ ثلاثة أمور، لم يقل المرء في دعائه اللهم

إن كان هذا الأمر خيراً فأرني في منامي رؤيا أو أظهر لي صارخاً أو كلمةً تدلني على

الإقدام أو الإحجام، فليس الأمر كذلك البتة، وإنما يقدم على أمره، ولذلك جاء في حديث في آخره «ثُمَّ لِيَمْضِي بِشَأْنِهِ»، فيمضي المرء في شأنه، فإن جاء عائق فعاق، ولو كانت النفس مرتاحة للإقدام عليه فالخيرة في العدم، وإن كانت النفس منقبضة وقد استخار المرء الله عَزَّوَجَلَّ مرَّاتٍ لأنَّ الاستخارة دعاء، والدعاء يشرع تكراره، وقد استخار المرء الله عَزَّوَجَلَّ مرَّاتٍ فاستجيب دعاؤه فأقدم، وكانت نفسه محجمة فتحقق هذا الأمر فالخيرة فيه، لأنَّك سألت الله عَزَّوَجَلَّ ماذا؟ ليس راحة نفسك، ولم تسأل الله عَزَّوَجَلَّ الرؤيا وإنما سألته أن يكتبه لك. أي: فيما يحويه الله عَزَّوَجَلَّ ويشته وهو الذي تأخذ منه الملائكة فتكتبه للأدمي.

**إذن:** فما كتبه الله عَزَّوَجَلَّ أن يجيب دعاؤك هو الذي سيكون. فامض لشأنك ولا تلتفت لخاطرٍ ولا لغيره. هذا الأمر الثاني.

- **الأمر الثالث:** أن بعض الناس يتعلَّق بالرؤى ويتعلَّق بالأحلام ويظن أنَّها حقائق وليس الأمر كذلك، فإنَّ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «أَصْدَقُكُمْ رُؤْيَا أَصْدَقُكُمْ حَدِيثًا». **إذن:** المرء إذا كان لسانه صادقاً كانت رؤياه صادقة، وإن كان لسانه كاذباً كانت رؤياه كلها كاذبة لا حجة لها ولا تفسير لها. **إذن:** الصادق هو الذي تكون رؤياه صادقة. انظر، ثم نأتي لهذا الصادق قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَمْ يَبْقَ مِنَ النَّبُوءَةِ إِلَّا الْمُبَشِّرَاتُ وَهِيَ جُزْءٌ مِنْ بَضْعٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءاً مِنَ النَّبُوءَةِ» جزءٌ من جزءٍ من بضعٍ وأربعين جزءاً من النبوة. **إذن:** في واحدٍ من تفسيرات معنى هذا الحديث أنه في

كل أربعين رؤيا واحدة منها صحيحة، وهذا الذي جاء عن محمد بن سيرين، فإنَّ محمد بن سيرين **رَحِمَهُ اللَّهُ** تعالى كما نقل عنه ابن قتيبة بإسنادٍ صحيح في كتابه «تعبير الرؤى» أنه كان يسأل عن أربعين رؤية، فلا يجيب، يقول: لا تفسير لها ويجيب عن واحدة، وبعض الناس يظنُّ أنَّ كلَّ رؤية لها تفسير وكلَّ رؤية لها خبر وسر فيها، وكذلك ممَّا جاء عن أو ما صحَّ النقل فيه عن النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** أنه بيَّن أنَّ الرؤى على ثلاثة أنواع:

(١) فمنها رؤى تكون من الشيطان وتلاعبه، وذلك كحال الرجل الذي جاء للنبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** فقال: يا رسول الله رأيت أنَّ رأسي يمشي أمامي، فقال له النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «**لَا تُخْبِرُ بِهَا أَحَدًا لَا تُخْبِرُ بِتَلَاعِبِ الشَّيْطَانِ بِكَ**». فالشيطان يأتي للمرء فيتلاعب به وخاصةً إن أكل كثيراً في تلك الليلة أو كان قد بذل جهده ونحو ذلك فربَّما رأى من هذا التلاعب الذي يكون من الشيطان.

(٢) **والنوع الثاني:** هي حديث المرء نفسه، فإنَّ المرء إذا فكَّر في أمرٍ وأطال من التفكير فيه فإنَّه يرى فيه رؤيا، وممَّا يستطرف في ذلك ما نقله ابن الجوزي في كتاب «الأذكياء» أنَّ رجلاً كان يخلع أسنان النَّاس ويقول لهم: إني إذا خلعت سنك لا تحس بالألم البتة، ولكن كان يقول لهم من شرط عدم إحساسك بالألم ألا تفكر في القرد ولا تحلِّم فيه، فإذا قال له لا تفكِّر في هذا القرد، بدأ يفكر فيه يومه كلَّه فحلِّم فيه في منامه، فالمرء إن كان يفكِّر في شيءٍ في يومه كلَّه فسيرى فيه مناماً، ومن أكثر القرارات أثراً في المرء رجلاً

كان أو امرأة قرار الزواج؛ لأنّها من القرارات المصيرية التي ربّما لا تكون إلاّ مرّة في العمر لغالب النّاس، فتجد الرجل أو المرأة يفكّر في هذا الموضوع يومه كلّ، مع كثرة تفكيره فيه ربّما رأت المرأة المتقدم لها في منامها فيكون ذلك من حديث النفس وليس من رؤى الرحمن.

**(٣) والنوع الثالث:** من الرؤى ما كان من الرحمن **جَلَّ وَعَلَا**، وهي المبشرات والنبؤ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** سمّاها مبشرة، ولا تكون يعني فيها شؤم، ولا يكون فيها إخبار عن أمرٍ ماضٍ البتة، وإنّما تكون مبشرة، وهي التي تكون من الرحمن **جَلَّ وَعَلَا**، وأمّا التي تكون من الأمر السابق فهي التي من حديث النفس قد يستنبط منها ذوو الفراسة والفتنة شيئاً من أخبار الرجل وما يفكّر فيه.

**فالمقصود:** أنّ ما كان من الله **عَزَّوَجَلَّ** إنّما هي المبشرة التي فيها التبشير، فأنا أقول لهذه الأخت الكريمة إنّ ما فعلت فيه خطأ ولا شكّ، فأولاً هو خطأ من حيث الاستخارة لم تعلّمي ما المقصود منها، وخطأ لأنّك سلّمت هواك للرؤى، وليس الأمر كذلك بل كليه إلى علم الله **عَزَّوَجَلَّ** وظواهر الأمور، والأمر الثالث أنّك أخطأت في مخالفة هدي النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** برّد الكفء الذي تقدّم لك، أسأل الله **عَزَّوَجَلَّ** لهذه المرأة ولبناتنا ولأخواتنا من المسلمين والمسلمات السّتر في الدنيا والآخرة.

